قراءة في حديث "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى"

أخرج البخاري في صحيحه، إبراهيم بن سعد عن أبيه أنه قال: قال النبي ﷺ لعلِيّ أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى.

وأخرج مسلم في صحيحه عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن سعد بن أبي وقاص قال خلف رسول الله ﷺ عليّ ابن أبي طالب في غزوة تبوك فقال يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان، فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي.

قال مركز الأبحاث العقائدية إن هذا الحديث الذي راوه البخاري ومسلم، "دلالته على ولاية علي عليه السلام وإمامته بعد رسول الله ﷺ واضحة إذ إن هارون كان خليفة لموسى - عليهما السلام) ونبياً، وقد أثبت رسول الله ﷺ المنزلة نفسها لعليٍّ عليه السلام باستثناء النبوة، فدلّ ذلك على ثبوت الخلافة له (عليه السلام)".

غير أن جمهور المسلمين قديماً وحديثاً لم يفهموا من هذا الحديث ما فهمه علماء الشيعة عامة منه، علي ﷺ كان ممن وهبوا حياتهم للإسلام، وقد آمله أن يستخلفه رسول الله ﷺ في النساء والصبيان وعموم المسلمين متجهون للخروج في غزوة تبوك للدفاع عن دولة الإسلام من خطر يتربص بها من الشمال.

فما كان من سيد البشر وخاتم النبيين عليه الصلاة والسلام إلا أن أزال ما به من ضيق وقلق بسبب عدم الخروج، وأخبره بمكانته الرفيعة عند رسول الله ﷺ وعند المسلمين قاطبة.

إلا أنه لم يجعله بهذا الحديث خليفة من بعده، ليس فقط لأن هارون مات قبل موسى عليهما السلام، ولكن لأن النبي ﷺ أوتي جوامع الكلم، ولو أراد أن يأمر له بالخلافة لقالها صريحة من دون الحاجة للتلميح والإبهام.

لقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما أحاديث نبوية شريفة تتضمن مناقب وفضائل أخرى للإمام علي ﷺ، ولكوكبة من الصحابة تضم الخلفاء الراشدين وعدداً من المهاجرين والأنصار، من الرجال والنساء رضي الله عنهم جميعاً، كما وردت أحاديث صحيحة تنهى عن سب الصحابة منها قوله ﷺ في صحيح مسلم: "لا تسبوا أصحابي لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه".

والمنطق أن أحاديث الفضائل إنما تدل على فضل من صدرت بحقهم، ولا يمكن الاحتجاج بها لإثبات مذهب الإمامية الإثني عشرية،

وللقول بأن الله تعالى جعل الحكم والخلافة في سيدنا علي وولدَيْه الحسن والحسين ﷺ، ثم في تسعة من ذرية الحسين، أحدهم حي يرزق ومختف عن أنظار الناس منذ أكثر من ألف ومئتي عام.

لقد أخرج مسلم في صحيحه حديثا عن سيدنا علي ﷺ، هذا نصه: عن عبد الله بن شداد قال سمعت عليًّا يقول: "ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد غير سعد بن مالك فإنه جعل يقول له يوم أحد ارم فداك أبي وأمي".

فهل يحق لقائل أن يقول إن سعد بن أبي وقاص هو الأولى بالخلافة لأن النبي ﷺ جمع له أبويه ولم يجمعهما لأحد من الصحابة غيره؟

وقد عرضنا في الفصل السابق عدة أحاديث صحيحة، أخرجها البخاري ومسلم، تتضمن ما يخالف فهم الشيعة لحديث: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى". وقد بينت أن تلك الأحاديث لا يمكن أن تتفق مع ما يعتقد به الشيعة الإثني عشرية في أمر الحكم والإمامة، إذا كان النبي ﷺ أوضح أن الحكم في الدولة الإسلامية ينتقل بعد وفاته إلى سيدنا علي، فالحسن، فالحسين، رضي الله عنهم، ثم في تسعة من ذرية الحسين، أحدهم حي يرزق ومختف عن أنظار الناس منذ أكثر من ألف ومئتي عام، إذا كان نبينا عليه الصلاة والسلام قد أوضح هذا الأمر للناس، وبين لهم أن هؤلاء الأئمة معصومون لا يخطئون، فلم يتحدث عن كثرة الخلفاء من بعده، وعن الإمام العادل والإمام غير الصالح؟ ولم يدعو الناس لطاعة الحاكم ما لم يؤمروا بمعصية؟ هل يصدر الأمر بالمعصية عن الحاكم المعصوم؟ ثم كيف

يستقيم توجيهه في حديث صحيح لامرأة مسلمة سألته في أمر يخصها بالرجوع إلى أبي بكر رضي الله عنه إذا لم تجده هو عليه الصلاة والسلام (تلميحا للوفاة)؟ كيف تستقيم دلالات هذه الأحاديث كلها مع نظرية الإمامة عند الشيعة الإثني عشرية؟

الجواب الواضح الذي فهمه أغلب المسلمين قديماً وحديثاً هو أنها لا تستقيم ولا تتوافق معها.